التأثير والتأثر بين الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسى

پدیدآورنده (ها) : الشبیری الزنجانی، السیدمحمد جواد

ادیان، مذاهب و عرفان :: نشریه العقیدة :: ربیع الاول ۱۴۳۶ - العدد ۳

صفحات : از ۴۱۲ تا ۴۱۶

آدرس ثابت : https://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/1677014

دانلود شده توسط : مرکز فقهی امام محمدباقر علیه اسلام

تاریخ دانلود : ۱۴۰۱/۰۷/۰۹

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائهٔ مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمـده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشـر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلـف از آن مـوجب پیگرد قـانونی است. به منظور کسب اطلاعـات بیشتر به صـفحه قوانین و مقررات اسـتفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

مقالات مرتبط

- تهذیب الاحکام
- النعمانی و مصادر الغیبة
- گزارش تصحیح اسناد بصائرالدرجات، همراه با معرفی پاره ای از نسخه های خطی بصائر
- پرونده کلینی و کافی
- رجال نجاشی
- النعمانی و مصادر الغیبة
- النعمانی و مصادر الغیبة (۱)
- مشاغل و حرف اصحاب و راویان ائمه اطهار علیهم السلام تا پایان غیبت صغرا
- النعمانی و مصادر الغیبة
- النعمانی و مصادر الغیبة (۲)
- النعمانی و مصادر الغیبة
- نعمانی و مصادر غیبت بررسی غیبت نعمانی

عناوین مشابه

- نظرات فی فقه الشیخ المفید و الدعوة إلی التقریب بین المذاهب
- الشیخ المفید و التوقیعات الصادرة عن ناحیة المقدّسة بین الأخذ و الردّ
- المسار الثّقافی بین المعتزلة و الشیعة منذ البدایة و حتّی عصر الشیخ المفید
- الشیخ المفید و التوقیعات الصادرة عن الناحیة المقدسة بین الأخذ و الرد
- من قضایا علم الکلام بین الشیخ المفید (۴۱۳ ه) و المعتزلة
- من قضایا علم الکلام بین الشیخ المفید (۴۱۳ه) و المعتزلة
- نظرات فی فقه الشیخ المفید و الدعوة إلی التقریب بین المذاهب
- بین العلمین الشیخ الصدوق و الشیخ المفید
- مع السید القائد: الشیخ المفید و دوره فی إیجاد الأساس المنطقی للجمع بین العقل و النقل فی الفقه و الکلام
- المسار الثقافی بین المعتزلة و الشیعة منذ البدایة و حتی عصر الشیخ المفید

www.noormags.ir

التأثير والتأثر
بين الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي

■ السيد محمد جواد الشبيري الزنجاني

شهدت مدرسة بغداد ثلاثة من كبار الأعلام في فترة زمنية متتالية تقدّر بقرن، وهؤلاء العلماء الثلاثة كانوا في القمة بحيث لو أرادت الساحة الفكرية والعلمية إفراز أحدهم لاحتاجت إلى قرون متتالية، ولكن من عجائب الدهر اجتماع هؤلاء الثلاثة في قرن واحد، وهم الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي رحمهم الله.

إذا افترضنا انّ البداية العلمية للشيخ المفيد كانت عام ٣٦٠هـ ـ حيث كان عام ٣٦٣هـ تاريخ تأليف كتاب لمح البرهان، كما يذكر السيد ابن طاوس في الإقبال ـ وانّ وفاة الشيخ الطوسي كانت عام ٤٦٠ هـ، نرى خلال هذه المدة ثلاثة من كبار العلماء الذين حازوا بالتوالي المرجعية الدينية والفكرية للشيعة الإمامية، وكانت لهم اليد الطولى في مختلف الفنون والعلوم.

كان لهؤلاء الأعلام الثلاثة خصائص مشتركة:

أولاً: حازوا رئاسة الطائفة الإمامية وزعامتها.

ثانياً: الجامعية العلمية.

ثالثاً: لهم كتب في أكثر العلوم الإسلامية: الكلام، الفقه، الأصول، التفسير وعلوم القرآن، التاريخ والسيرة حتى في بعض الفروع الإسلامية كفرع الإمامة مثلاً من علم الكلام،

فقد كتب الشيخ المفيد كتاب الإفصاح والإيضاح وغيرهما، وكتب السيد المرتضى كتاب الشافي، والشيخ الطوسي كتب كتاب تلخيص الشافي وهكذا. وفي مبحث الغَيبة مثلاً كتب الشيخ المفيد كتباً ورسائل عدة وكذلك السيد المرتضى كتب المقنع في الغيبة والشيخ الطوسي له كتاب (الغيبة) المعروف الذي قد يكون أهمّ كتاب أُلّف في مبحث الغيبة.

رابعاً: كان لهؤلاء الثلاثة محاججات ومناظرات وكانوا مضطلعين في فن المناظرة سواء المناظرات الحضورية أو من خلال كتابة الرسائل والردود.

خامساً: المرجعية العلمية لهؤلاء الثلاثة حيث كانت ترسل إليهم الأسئلة من مختلف أصقاع العالم الإسلامي في مختلف الفنون والعلوم الإسلامية، فكانوا يجيبون عليها وربّما أجابوا عن سؤال واحد برسالة كاملة، وهو ما نشاهده في الجوابات الصادرة بأسماء المدن المختلفة أو الأشخاص.

سادساً: كانوا في الطبقة العليا من الأستاذية حيث تخرّج على يدهم كثير من طلبة العلم.

سابعاً: والأهم من هذا كلّه انّ الإبداعات العلمية التي نشهدها في كتبهم باهرة جداً.

نحن إذا أردنا الإشارة في مختلف العلوم الإسلامية إلى بعض الأشخاص البارزين وإلى بعض الكتب الهامة، لا مناص لنا من الإشارة إلى هؤلاء الأعلام الثلاثة وإلى كتبهم. إذ إنّ بعد مرور ألف عام نرى انّ آثار السيد المرتضى رحمه الله الكلامية ما زالت تُعدّ من أهم الآثار الكلامية، فكتاب الذخيرة للسيد من جملة تلك الكتب التي لو أردنا دراسة علم الكلام بشكل مستحكم لا محيص عن الاستفادة منه، ولو أراد المحقق مقايسة هذا الكتاب مع غيره من الكتب الكلامية؛ لرأى التأثير الكبير له على سائر الكتب، وانّه مضافاً إلى الدور التأسيسي الذي يمتاز به السيد المرتضى يبقى تأثير كتبه إلى قرون متتالية بعده.

انّ الشيخ الطوسي كان له خضوع علمي كبير أمام السيد المرتضى رغم كونه شيخ الطائفة ومهيمناً على الساحة العلمية لقرون متتالية، ولكن مع هذا كان له خضوع علمي خاص أمام السيد المرتضى، فلو راجعنا مؤلّفات الشيخ الطوسي نرى انّه قد ينقل ما يقارب ١٢ صفحة من كتب السيد المرتضى بشكل كامل، كما نشاهد ذلك في كتاب العدة مثلاً حيث يشير إلى ذلك وانّه نقله بشكل كامل بدليل جامعية ما نقله السيد في ذلك الموضوع. ويقول في

مكان آخر من (كتاب العدة ٢: ٤٦٢): «وهذان دليلان ذكرهما سيدنا المرتضى رحمه الله أوردتهما بألفاظه لأنّه لا مزيد عليهما وفيهما كفاية إن شاء الله» وفي بعض الموارد ربّما يضيف أو يلخص أو ينقد. ومن طريف ما نشاهده عند هؤلاء الثلاثة قيام كل واحد بشرح وتلخيص كتب الآخر وتلخيصها، مثلاً كتاب الفصول المختارة للسيد المرتضى هو اقتباس من كتب الشيخ المفيد في المناظرات وكتابه العيون والمحاسن، ومن طالع هذا الكتاب تعجّب من الدقة العلمية والنشاط والسعة العلمية التي كان يحوزها الشيخ المفيد، ورغم مرور أكثر من ألف عام على تأليف هذا الكتاب لكنّه حافظ على قوّته العلمية وبقي حاضراً ولم يلحق بتاريخ العلم، فكُتب هؤلاء الثلاثة ـ في الواقع ـ ما زالت جزءاً من العلم بخلاف أكثر العلماء الذين أصبحت كتبهم جزءاً من تاريخ العلم.

والأمر الآخر في التأثير والتأثر بين هؤلاء هو رعاية الأدب في التعامل فيما بينهم، انظر إلى ما يعبّر السيد المرتضى عن الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي عن السيد المرتضى سيما في ترجمته في كتاب الفهرست والرجال.

انّ الشيخ الطوسي عندما أراد أن يقوم بتحرير كتاب الشافي للسيد المرتضى من جديد، وأن يخرجه من حلّته الجدلية إلى حلّة جديدة ككتاب مستقل مؤلّف في الإمامة ـ إذ انّ كتاب «تلخيص الشافي» هو كتاب مستقل وإن كانت شاكلته مأخوذة من كتاب الشافي. لكن الجوانب الاستقلالية الموجودة فيه مهمّة جداً ـ يسمّي كتابه تلخيص الشافي، فانظر إلى أدبه حتى في تسمية الكتاب وكأنّ كتابه هذا مجرد تلخيص لذلك، لكن الواقع غير هذا والأصح تسميته بـ(تحرير الشافي) فهو نوع تحرير جديد لكتاب الشافي.

ومن الشواهد على ذلك أيضاً كيفية تعامل الشيخ الطوسي مع السيد المرتضى إذ يشير مثلاً في كتاب الاقتصاد إلى انّه في شرح الجمل للسيد المرتضى حاول شرح كلام المؤلّف فقط رغم عدم توافقه مع بعض تلك الآراء، لكنه بما انّه شارح لذلك الكتاب فليس من الأدب أن يتحوّل الشارح إلى الناقد، كما نرى هذا الأمر أيضاً في كلام المحقق الطوسي في شرح الإشارات، حيث يشير في مقدمته لشرح الإشارات بعدما يمدح الفخر الرازي، إلى انّ شرح الرازي رغم أهميته له صبغة الجرح لصاحب الإشارات. والحال انّ دور الشارح هو الشرح وتبيين مغلقات الكتاب من دون النقد إلاّ بحسب الضرورة، وهذا هو أدب الشرح

والتعليق. فالشيخ الطوسي﵀ يشير في كتاب الاقتصاد إلى انّه راعى أدب الشرح، وكذلك في باقي كتبه عندما ينقل عن السيد يراعي جانب الأدب.

مثلاً في تفسير التبيان٩: ١٤٩ يذكر وجوهاً مختلفة في تفسير إحدى الآيات ويقول: «الثالث وجه كان المرتضى علي بن الحسين الموسوي﵀ جارانا فيه فاتفق لي بالخاطر وجه قلته فاستحسنه واستجاده» فانظر إلى هذا الكلام وما يحتوي عليه من أدب وتواضع رفيع وتباعد عن الكبر والغرور العلمي رغم الاستقلالية العلمية لكل واحد منهما، لكن مع هذا كان يراعي الأدب ويكثر النقل عنه وربما لا نعدم القول لو ذهبنا إلى عدم حضور أيّ عالم من العلماء في مؤلفات الشيخ الطوسي كحضور السيد المرتضى، وانّ ما نقله عنه في مؤلفاته أكثر بكثير ممّا ينقله عن غيره من العلماء، بدليل اعتقاده بالسيد سيما في المسائل الكلامية العقلية ومسائل الأصول التي لها بعد عقلي كما هو الملاحظ في كتاب العُدّة.

وهنا اريد الإشارة إلى نقطة تخص السيد المرتضى والشيخ الطوسي، وهي انّ الطوسي يقول في مقدّمة العُدّة: «ولم يصنّف أحد من أصحابنا في هذا المعنى إلاّ ما ذكره شيخنا أبو عبد الله﵀ في المختصر الذي له في أصول الفقه ولم يستقصه، وشذّ منه أشياء يُحتاج إلى استدراكها وتحريرات غير ما حرّرها، فانّ سيدنا الأجل المرتضى أدام الله علوّه وإن كثر في أماليه وما يُقرأ عليه شرح ذلك، فلم يصنّف في هذا المعنى شيئاً يُرجع إليه ويُجعل ظهراً يُستند إليه».

يظهر من هذه العبارة انّ كتاب الذريعة للسيد المرتضى في أصول الفقه والذي ألّفه عام ٤٣٠هـ لم يكن مؤلّفاً آنذاك، ولكن عند مراجعة العدّة نرى مقاطع بنفس ألفاظ الذريعة مع التصريح بأنّها للسيد المرتضى، فيحتمل انّ الذريعة هي جمع لما كتبه السيد سابقاً من مسائل أصولية في رسائل ومسائل مختلفة ثم بعدما أراد السيد تأليف هذا الكتاب أدرج فيه ما كتبه سابقاً، فالذريعة تم تأليفها في ٤٣٠هـ أي ست سنوات قبل وفاة السيد (٤٣٦هـ) وهي تعكس قوّة السيد العلمية في أُخريات حياته، فانّه ولد في ٣٥٥هـ فيكون عمره حينذاك ٧٥سنة. وعلى أية حال يظهر انّ كثيراً من مطالب كتاب الذريعة قد ألّفها المرتضى فيما قبل ثم نقلها إلى الذريعة، وعلى سبيل المثال ينقل الشيخ الطوسي في العدة عن رسالة إبطال القياس للسيد، وهذه الرسالة بعينها وردت في الذريعة. والخلاصة انّ كتاب الذريعة والعدة من أكبر الكتب الأصولية الإمامية آنذاك.

نحن نلاحظ من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن الخامس اشتداد الحركة العلمية في الوسط الإسلامي سيما الشيعي ولم نقل جزافاً لو ذهبنا إلى انّ تلك الفترة كانت الفترة الذهبية للعلوم الإسلامية في مدرسة أتباع أهل البيت عليهم السلام بفضل وجود هؤلاء الأعلام الثلاثة. وانّي لأتعجّب من غزارة الإنتاج العلمي لهؤلاء الأعلام في تلك الفترة القصيرة، وأتمنى القيام بتحقيقها بالشكل اللائق سيما وانّ بعض مؤلّفات الشيخ الطوسي مازالت مخطوطة.

وأُضيف نقطة اخرى في الختام وهي وجود خصائص لكل واحد من هؤلاء الأعلام، وأقتصر هنا على خصائص السيد المرتضى، فانّه مضافاً إلى جهاته المشتركة مع الشيخ المفيد والشيخ الطوسي يمتاز بأمرين، الأول: الجانب الاجتماعي إذ كان نقيباً للشيعة وله دور اجتماعي بارز وكذلك في الجانب السياسي أيضاً. الثاني: الجانب الأدبي إذ كان يُعدّ في ضمن الأدباء المتخصصين في فن الأدب سيما الشعر وله ديوان شعر يفوق ٢٠٠٠٠ بيت.

وشيء آخر وهو انّنا نستلهم من السيد المرتضى الدفاع العقلاني عن المذهب، إنّ السيد في مقام دفاعه عن أهل البيت ومدرستهم وتعاليمهم لم يخرج عن حريم العقل ولم يتجاوزه، فنحن إذا أردنا الدفاع عن مدرسة أهل البيت لابد من أن يكون دفاعنا معتمداً على التعقّل ومتكئاً على الطرق والمناهج العقلائية.

كما نستلهم منه أيضاً الاستفادة من الفرص وعدم إضاعتها، فالسيد رغم كونه زعيم الطائفة الشيعية آنذاك، لكنه مع هذا لم يغفل عن العمل العلمي، فانّه مثلاً أملى أماليه وهو في سفر الحج، وكتاب الأمالي في غاية الأهمية حتى انّ بعض علماء السنة كان يقسم بانّه أفضل كتاب أدبي في العالم الإسلامي. وهذا ما نعنيه من الاستفادة من الفرص. والسلام.